لهم . فهل يعقل ان يخلف الروس مصالحهم الواسعة في المنطقة للاستعمار الغربي ليعود فيهدد بقواعده العسكرية ساحتهم الخلفية كما فعل في الخمسينات أيام حلف بغداد ؟ لا يوجد في التاريخ القريب مثال واحد على امكانية تصرف الروس بهذا الغباء الذي يتهمهم به « ثائر مصري » ضمنا . انهم بالتأكيد لن يقطعوا انفهم من اجل الانتقام من وجههم ، كما يقول المثل الانكليزي المعروف ، بل ولا يوجد داع لذلك الا في مخيلة ثائرنا العجيبة .

ربما المقال الذي يزود القارىء بالمفتاح حول هوية صاحبه الحقيقية او بالاحرى هويات جميع مراسلي كمشه المتنكرين ، هو ذاك الذي ظهر في عـــدد أيلول ١٩٧٠ بعنوان : « هناك مؤامرة لمعاقبة أولئك الذين يتجرأون على وضع علامات الاستفهام حول التقاليد ويحاولون علاج المجتمع من أمراضه » . هذا المقال يقدمه كمشه بالعبارة التالية : « هذا هو تعليق قوي بصراحته حول الثغرة الواسعة بين النظرية والتطبيق في العالم العربي» . اما مصدر المقال فهو : « صريح يكتب من مكة » . ويبدأ الكاتب هجومه الناري على الاسلام بالكلمات التالية : « من الطبيعي ان يظن المرء انه بعد أربعة عشر قرناً مـــن الاسلام ، لا بد ان تكون بعض مثالياته السامية قد أصبحت حقائـــق ولكن الامر ليس كذلك . فالمجتمع الاسلامي والشعب المسلم كمجموعة لا تزال منقسمة على نفسها أكثر من أي شعب آخر على وجه الارض » . أن أول ما يسترعي الاهتمام الخاص في هذا المقال هو مصدره : مكة . فالمسلم يجد انها الغرابة بعينها أن يكلف احدهم نفسه عناء السفر الى مكة من أجل الكتابة عن حالة الاسلام الحاضرة . فلو ان « صريحا » أراد الكتابة عن تلك المدينة بحد ذاتها ، او حتى عن المملكة العربية السعودية ، لكان الحافز على سفره مفهوما . اما ان يذهب أحدهم الى مكة من اجل الكتابة عن الاسلام كدين ، وعن المسلمين ، فهو أمر لا يصدق لسخافته المتناهية . فهل يتوجب على المسيحي الذي يريد أن يكتب عن مدى تطبيق المسيحيين لدينهم أن يذهب الى القدس ؟ لو ان «صريحا» اراد حقا الكتابة عن الاسلام وما يتعلق به من نظم اجتماعيـــة الخ.. لكانت القاهرة بازهرها وعلمائها هي هدفه الطبيعي وليس مكة . ان القاهرة هي أكبر عاصمة اسلامية في العالم،ويمكن اعتبارها بمثابة نموذج عام للمدن الاسلامية الحديثة الاخرى في العالم. اذن فالتفسير الوحيد لحشر اسم مكة في المقال هو ان « صريحا » لا يمتلك اية فكرة واضحة عن الموضوع الذي يريد الكتابة عنه . ان أهم شيء بالنسبة اليه هو ان يعتبره القارىء مسلما باعتبار ان المسلمين فقط يحق لهم الذهاب الى مكة .

ولكن لنترك مصدر المقال جانبا ، ولنبحث النقاط الواردة في المقال نفسه . ان « صريحا » ينعي على المسلمين انقسامهم وهذا هو موقف غريب بقدر ما هو دعي ومزيف،اذ من يقول ان على المسلمين جميعا الاتحاد ؟ بـــل كيف يمكن أن تتوحد دستة (على الاقل) من الشعوب والاجناس المختلفة في كيان واحد ؟ في التاريخ القريب ، لا يوجد الا مثالين على قوم يؤمنون بدين واحد قرروا الاتحاد وانشاء دولة على هذا الاساس فقط . ان اسرائيل هي احد هذين المثالين ، فهل نستنتج من ذلك انه فقط من يعتقد ان الدين هو اساس طبيعي للوحدة بين معتنقيه بالرغم من الاختلاف في العرق والثقافة واللغة والتاريخ هو ذاك الذي « ينعي انقسام المسلمين » ؟ هل هذا الموقف يكشف هوية صريح الحقيقية ؟ وعلى كل حال ، لماذا يعتبر انقسام المسلمين (على حد تعبيره) اكثر مأساوية من انقسام المسيحيين ؟ فأسوأ حروب عرفها العالم هي تلك التي وقعت في الغرب المسيحي وليس في الشرق المسلم وآخرها حدث قبل ربع قرن فقط من الزمن . ثم هل بامكان احد أن يدعي جديا بأن المثاليات المسيحية تحققت بعد الفي عام من المسيحية ؟ اذا كان الجواب على ذلك بلا ، فلماذا توجيه اللوم كله على الاسلام ؟

وهناك نقطة أخرى يثيرها « صريح » في نفس المقال وتستوجب التوقف . فهو يكتب : « ان الفلسطينيين يعيشون على تبرعات الامم المتحدة التي تجمع من الدول الاعضاء . وان مبلغا عشريا فقط من هذا الغوث المالي يأتي من مصادر عربية . اما الحجة التي